مجلة رفوف – مخبر المخطوطات – جامعة أدرار – الجزائر ـــــــــــــــ المجلد: 10/ العـدد: 01 (جانفي 2022) ص 400– 416
ISSN: 2335-1381 EISSN: 2602-5949 Legal Deposit: 2013-6352

إشكالية المنهج السوسيونصي في النقد الجزائري المعاصر، بين التنظير والممارسة، الشريف حبيلة – أنموذجا

The Problematic of the Socio-Textual Approach in Contemporary Algerian Criticism; between Theorization and Practice: Sharif Habila as a model

طالبة دكتوراه: نوال سي صابر [1] / الأستاذ الدكتور: نور الدين صدار [2]
Si saber Nawal[1] / Seddar Noureddine [2]
1– مخبر المناهج النقدية المعاصرة ، جامعة معسكر (الجزائر)، sabeurn_2014@yahoo.fr
2– مخبر المناهج النقدية المعاصرة ، جامعة معسكر (الجزائر)، n.seddar@univ-mascara.dz

تاريخ الاستلام: 2021/09/28	تاريخ القبول: 2021/10/30	تاريخ النشر: 2022/01/25

الملخص: تطمح هذه الدراسة إلى مناقشة إشكالية تلقي المقاربة السوسيونصية في الخطاب النقدي الجزائري المعاصر، وهي الإشكالية التي طرحت نفسها بإلحاح، بسبب رواج هذا المنهج النقدي عند كثير من الدارسين الذين تباينت قراءتهم تنظيرا وإنجازا، وهي تحاول الإجابة عن الأسئلة التالية: كيف تعاطى النقد الجزائري مع المنهج السوسيونصي؟ ما هي الإشكالات المنهجية التي اعترضت الدارسين. لتحقيق هذه الغاية اقتضت الخطة الإجرائية تناول الدراسة في محورين، خُصص الأول لتمثُّل المنهج السوسيونصي في النقدي الغربي. أما المحور الثاني فجاء ليقارب إشكالية المنهج تنظيرا وإنجازا، من خلال النموذج المقترح.
الكلمات المفتاحية: السوسيونص، تلقي الخطاب النقدي، إشكالية، مقاربة، التنظير، الإنجاز.

Abstract:
This study discusses the issue of the socio-textual approach implementation in contemporary Algerian critical discourse, as being a recurrent problematic. The study, thus, attempts to answer the following questions: How does contemporary Algerian criticism deal with the Western socio-textual critical heritage? What are the methodological problems that Algerian scholars encounter regarding theory and achievement? Therefore, the adopted procedural plan requires to be addressed from two stand points. The first is devoted to the representation of the socio-textual approach in Western criticism, while the second aims at approaching the problematic of methodology in theory and achievement through the proposed model.
Key words: Socio-text , receiving critical discourse , problematic, approach, theorization, achievement.

المؤلف المرسل: نوال سي صابر ، **الإيميل**: sabeurn_2014@yahoo.fr

1. مقدمة

تطمح هذه الدراسة إلى تقييم المقاربات النقدية المعاصرة التي تبنت القراءة السوسيونصية في النقد الجزائري المعاصر، بوصفها اتجاها نقديا حاول تجديد قراءة النصوص الأدبية من رؤية سوسيونصية، أعادت النظر في مقولات ومفاهيم المقاربة السوسيولوجية التقليدية التي ركزت على مفاهيم الالتزام والإيديولوجية والانعكاس ... التي روج لها النقاد السوسيولوجيون بشكل عام.

انطلاقا من هذه الرؤية، تهدف هذه الدراسة إلى تمثُّل الخطاب النقدي الجزائري المعاصر الذي تبنى القراءة السوسيونصية باعتبارها مقاربة جديدة، بغية تقييم هذه التجربة النقدية وفق المنهج الذي بلوره ' بيير زيما' الذي أطلق عليه " **سوسيولوجية النص الأدبي**، أو من خلال إسهامات كلود دوشي، وج. ديبوا ضمن إطار ما اصطلح عليه ب " **سوسيو نقد** ". ومن ملامح هذا الاتجاه النقدي المعاصر في الجزائري، الذي ظهرت بواكيره منذ ثمانينيات القرن الماضي مع جيل جديد من النقاد والباحثين الذين سعوا إلى مراجعة وتجديد القراءة النقدية السوسيولوجية باستعارة مفاهيم ومقولات المناهج النقدية النصية المعاصرة، بإعادة الاعتبار للنص الأدبي وبنيته الأدبية الحاملة للمرجعيات الخارجية الإيديولوجية والسياسية والاجتماعية، دون أن تهمل لغة النص وبنيته النسقية وتنظيمه الداخلي، وطريقة توظيف الإيديولوجية.

وقد وقع اختيارنا على نموذج يمثله الباحث 'شريف حبيلة' في دراسته المعنونة "**الرواية والعنف: دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة**"، باعتباره الباحث الذي تبنى المقاربة السوسيونصية صراحة بقراءة متباينة في التصور والمنهج والممارسة. ومن هنا تطفو إشكالية الدراسة التي اختزلناها في الأسئلة التالية: كيف تلقى الباحث المنهج السوسيونصي.؟ ما هي الإشكالات المنهجية والمفاهيمية التي اعترضت سبيله في مماسته النقدية.؟

للإجابة عن هذه الأسئلة اقتضت خطتنا الإجرائية تناول هذه الدراسة في محورين أساسين. خصصنا الأول لتمثُّل المنهج السوسيونصي في الخطاب النقدي الغربي ليكون مسطرة نسوس بها إشكالية تلقي الخطاب النقدي الجزائري للمقاربة السوسيو نصية. أما المحور الثاني فجاء ليقارب إشكالية المنهج تنظيرا وإنجازا من خلال النموذج المقترح للباحث' الشريف حبيلة'. وعن منهج الدراسة وقع اختيارنا على المنهج النقدي التحليلي الذي فرضه طبيعة الإشكالية المطروحة للمناقشة، إذ يمكننا من تفكيك وتحليل وتقييم النصوص النقدية واستنباط قيمها النقدية.

2- سوسيولوجيا النص الأدبي المرجعيات والمآلات

ترمي هذه الجزئية إلى محاولة فهم العلاقة بين الأدب والمجتمع من منظور **'سوسيولوجيا النص الأدبي'** بوصفها منهجا نقديا أعاد النظر في كثير من المفاهيم السوسيولوجيا التقليدية، ومنها الانعكاس، الإيديولوجية، الالتزام ... ، ولا شك أن العلاقة بين الأدب والمجتمع ناقشتها كثير من النظريات والمناهج النقدية المعاصرة بغية الكشف عن الزوايا المختلفة للنص الأدبي، سواء تعلق الأمر بمناهج **النقد النصانية** التي اهتمت بالنص من جوانبه الداخلية، ونعني بذلك لغته ونسقه الداخلي، أو تلك المناهج السياقية الخارجية التي ركزت اهتمامها على البحث عن التوظيف الإيديولوجي للنص.

جاءت النظرة التجريبية للنص الأدبي من منظوره الداخلي أو الخارجي من مناهج نقدية كثيرة لتعيد النظر في مفهوم العلاقة بين الأدب والمجتمع، محاولة الاقتراب أكثر من حقيقة النص الأدبي وجوهره، وفق أسس منهجية تحاول الجمع بين قراءة الداخل والخارج، لترجع للنص بنيته الديناميكية دون أن تقطع الصلة مع المرجعيات الخارجية من خلال تفكيك البنيات الداخلية الحاملة للمصالح الاجتماعية على مستوى اللسان والمعجم.

من هذا المنظور نشأت البنيوية التكوينية وسوسيولوجيا النص الأدبي التي تجلت في أبحاث 'لوسيان غولدمان' الذي رسخ مفهوم التماثل البنائي، وميخائيل باختين الذي طرح مفهوم الحوارية، ليبلور' بيير زيما' فيما بعد نسقا منهجيا يراعي النص الأدبي على أنه مجموعة من اللغات المتصارعة فيما بينها. فكيف استطاع 'بيير زيما' إرساء أسس منهجه السوسيولوجي.؟ وما هي منطلقاته التي مكنته من بناء وبلورة جهازه المفاهيمي.؟

إن أهم ما أنجزه 'بيير زيما' قراءته الفاحصة الناقدة للنظريات والمناهج النقدية التي مكنته من غربلة الآراء النقدية التي انصبت حول النظريات النصانية وسوسيولوجيا المضامين، ومن هنا كان منطلقه، فانتقد الأفكار التي طرحها ' فوجين Fugen ' و' سلبرمان Silberman ' حول عدم جدوى الاهتمام بالجوانب الجمالية في أعمالهما النقدية بدعوى أن هذا الاهتمام لا يدخل في مجالهما، لذا ،" اهتما بالظروف الاجتماعية المحيطة بالعمل الأدبي فقط، باعتبار أن ذلك لا يدخل في اختصاصهما، وهذا اتجاه نقيض للشكلانية التي اهتمت فقط بأدبية الأدب، وهو يعتبر أن إقصاء الجانب الجمالي للأدب إنما هو إبعاد للمعنى الاجتماعي ذاته... إذ إن معنى الابداع لا ينفصل عن الكتابة كممارسة اجتماعية." **(وديجي.ر، 2017، ص 108)**.

يجدر بنا في هذا السياق الإشارة إلى أفكار 'هيجل' لقيت انتقادا صارما من' بيير زيما'. فقد ذهب 'هيجل' إلى إقرار مبدأ المماثلة بين الفن والفلسفة في نظريته الجدلية التي ترى أن الفن مع الدين والفلسفة يشتركون في التعبير عن الروح والجوهر، وفي الوقت ذاته فإن الفن " يختلف عنهما (الدين والفلسفة)، إذ يقدم هذه الحقيقة في

صور محسوسة، وعلى الرغم من ارتباط الفن بالظاهر والمحسوس إلا أنه يكسب المحسوس سمة روحية، ذلك لأن العمل الفني ليس مجرد عمل محسوس يتساوى بأي حقيقة مادية أخرى، فالعنصر الحسي في الفن لا يرتبط إلا بتلك الحواس ذات القدرة على التعقل مثل البصر والسمع."**(غالب.م،1980، ص 117)**.

وبقراءة أخرى فإن الفن (الأدب) من وجهة نظر ' هيجل' ليس تقليدا أو محاكاة كما ذهب أفلاطون، هو الكشف عن الجوهر المستور من الشكل الظاهر. وقد أكد على هذه الفكرة الباحث ' كامل محمد محمد عويضة' في قوله إن " الفن ليس تقليدا أو محاكاة للطبيعة ـ كما يرى أفلاطون ــ بل هو محاكاة للكشف عن المضمون الباطن للحقيقة." **(محمد. ك،1993، ص 128)** وقد انتقد 'ب. زيما' فكرة 'هيجل'، لأنها بكل بساطة تلغي مبدأ تعدد المعاني للعمل الفني الذي أضحى يخضع للخطابين الديني والفلسفي، فهو يستبعد " تعدد معاني النص الأدبي عن طريق مطابقته بمعنى معين." **(زيما.ب، 1991،تر، لطفي.ع ص45)**.

وإذا كان انتقاد 'زيما' لرؤية 'هيجل' للفن جاء على أساس استبعاده لتعدد معاني النص الأدبي، فضلا عن إلحاقه الفن بالدين والفلسفة. فإن ' ج. لوكاتش' لم يسلم من هذا الانتقاد بسبب ' **نمطيته**' التي ألغى بها كل تعدد للمعنى أيضا، وهو بذلك يؤكد على آراء 'هيجل ' حين ربط " البنية الحقيقية لعمل أدبي بعملية تحسين الصورة التي يرسمها العمل للعوامل الاجتماعية الأساسية التي تحدد صورة العالم المرسوم."**(لوكاتش.ج،1985،ص148)**.

إن الموقف الذي عبر عنه 'ج.لوكاتش' يجعل من الفن بشكل عام انعكاسا للواقع والحقيقة، وهو ما يجعل الفن (الأدب) لا يخرج عن مفهوم " **النموذجي**" أو **النمطية** " **Typique** ". فمفهوم ' **الانعكاس**' عند 'لوكاتش' هو مرادف للنمط، ومعناه الانتصار إلى أحادية المعنى، وهذا ما ترفضه سوسولوجيا 'زيما' التي ترى أن مفهوم ' الانعكاس' عند 'لوكاتش' لا " يعني تصويرا فوتوغرافيا للواقع، ولكن تشكيلا 'للنمطي Typique' الذي يصبح أساسا لأسلوب واقعي". **(زيما.ب، 1991، تر، لطفي.ع ،ص45)**بمعنى أن مفهوم النمطي لا يعطي مجالا للقراءة المتعددة التي تنشدها سوسيولوجيا النص الأدبي.

ومن نمطية 'ج.لوكاتش' نلج إلى الفكر 'الغولدماني ' الذي لقي هو الآخر نقدا صارما من 'ب.زيما'، وبالأخص نقده لمقولة " **البنية الدالة Structure Significative**' التي تختزل العمل الأدبي في معنى أحادي، وهذا ما لم تقبل به سوسيولوجيا النص الأدبي التي ترى أن العمل الأدبي متعدد الدلالات والمعاني، يحمل على عاتقه " بنيات دلالية متعددة بتعدد القراءات، ولا تكف هذه البني عن التناقض والتنافس(**Zima.P,1985,P6**') الواقع فإن التعدد الدلالي الذي أشار إليه 'زيما' ما هو في حقيقة الأمر سوى تعدد اللغات الاجتماعية التي تتصارع داخل النص.

ومن جهة أخرى نجد 'زيما' يثني على كثير من المفاهيم التي اقترحها 'غولدمان' في بنيويته التكوينية ومن هذه مفهوم ' **الذات المجاوزة للفرد'** الذي يخدم مشروعه النقدي، وفي ذات الوقت لا ينجو من نقده لإلحاحه على ضرورة تناسق العمل الأدبي الذي يؤكد من خلاله ' غولدمان' على أحادية المعنى والصوت دون أن يشير إليها صراحة، وهذا ما لم تقبل به سوسيولوجية ' زيما'. وما أُخذَ على ' ل.غولدمان ' مفهومه لـ " **التطابق** " الذي أشار إليه بين الواقع المعيش، وبين رؤية المبدع للعالم، وهو ما لا يعطي مجالا فسيحا لتعددية الدلالات، فـ" التطابق من جهة بين رؤية العالم، كواقع معيش، وبين رؤية الكون المبدع، وما بين ما يمكن تسميته بعالم الأشكال والوسائل الأدبية الخالصة." **(دوبوا.ك،1986، ص 75-78).**

لئن كان 'ب.زيما' قد استفاد كثيرا من الإرث ' الباختيني' خاصة فكرة " **تعدد الأصوات Polyphonie** " في النص الروائي التي مكنته من بلورتها حين اعتبر العمل الروائي مجموعة من اللغات المتصارعة فيما بينها. فإن مدرسة 'فرانكفورت' لا تقل تأثيرا في فكرة صياغة فكرة " انفتاح النص على معان متعددة، وبالأخص من أحد روادها وهو'تيودور أدرنو Th. Adrono 'الذي أبرز ما يميز الإبداع هو الإيحاء، وهذه الخاصة تجعله مثله مثل اللغز، يقول أشياء ويخفي أشياء أخرى، الأمر الذي يستدعي التأويل، ويجعله نصا منفتحا على معان ممكنة." **(زيما.ب،1991، تر، لطفي.ع، ص45).**

إن ما ينتقده ' زيما' عند 'ل. غولدمان' ليس منهجه، إنما رؤيته إلى الدلالة الأحادية التي تبناها من خلال الإشادة بمفهوم " التطابق" و" المماثلة"، الذين لا يوفران القراءة المتعددة التي تنشدها سوسيولوجيا النص الأدبي، فـ" النص الأدبي لا يمكن أن يتطابق مع أي تفسير من تفسيراته متبنيا وجهة نظر التلقي والقراءة غير المكتملة دائما." **(قيدي.ع. ن، ص 96)** ومن هنا يُفهم رفض ' زيما ' لمبدأ أحادية المعنى الذي يخنق النص الأدبي ولا يفسح له المجال لإنتاج قراءات أخرى تضفي ثراء وديناميكية. ولا شك أن هذه القناعة اتي ترسخت عند 'زيما ' مردها إلى قراءاته الواسعة، إذ "تأمل المناهج النقدية التي قرأها بطريقة واعية في ضوء القاعدة العامة التي انطلق منها، والتي يتم خلالها النظر إلى الأدبي والاجتماعي عن نظرة جدلية والتعامل مع النص الروائي كتجربة جمالية وسوسيولوجية في الآن نفسه" **(وديجي.ر، 2017، ص 169).**

لا يمكن أن نتغافل في هذا السياق عن جهود ' ميشال زرافا Michel Zeraffa 'التي تناولت علاقة الأدب بالمجتمع، واستفاد منها ' زيما' لبلورة جهازه المفاهيمي بالأخص الجهود التي تركزت على دراسة اللغة، في هذا الصدد يقول 'م. زرافا' " إن سوسيولوجيا الأدب ذات مرجعية لسانية (...) تبين مبدئيا أنه يجب الانطلاق من

الأشكال البسيطة (من الخطاب ومن النحو)، إذا أردنا أن نحدد معنى التعقيد الدلالي." **(وديجي. ر، 2017، ص 169)**.

لم يقف دور ' م. زرافا' عند تحديد الأبعاد المنهجية لسوسيولوجيا الأدب والتركيز على أهمية دراسة الأشكال في تحديد المعاني والدلالات، بل " أكد على أهمية نظرية ' غريماس' حول **علم الدلالة البنيوي** في كشف البنية السردية التركيبية للنص." **(Zeraffa.M, 1971,P75)** ويلح 'م، زرافا ' على أهمية **السيميولوجيا** في علاقتها بسوسيولوجيا النص الأدبي خصوصا فيما يتعلق بمفهوم الشكل الذي أضفى بعدا هاما على المدلولات الاجتماعية، وهذا ما يتجلى في قوله:" لقد كملت السيميولوجيا سوسيولوجيا الأدب لكونها جعلت مفهوم الشكل يجمع بطريقة عضوية بين المدلولات الاجتماعية والدوال الأدبية. **(وديجي. ر، 2017، ص 169)**.

وأضافت نظرية 'غريماس' في علم الدلالة البنيوي لمستها الخاصة على سوسيولوجيا 'زيما' لما وفرته من أدوات إجرائية لتحليل البنية السردية، وتمكينه من الوصول إلى تحديد المدلول الاجتماعي للبنية عن طريق ما سماه ' ج. ديبوا J. Dubois ' ب " تحديد العلاقة بين **الوظائف العاملية Les Fonctions Actantielles** " لشخوص تخييل ما، والسمات الاجتماعية التي تحملها." **(Zeraffa.M, 1971, P75)** فماذا أفادت دراسة "**البنية العاملية** " التي استعارها 'زيما' من نظرية 'غريماس' السيميائية.؟

لا شك أن مفهوم " **البنية العاملية** " التي تحكم الرواية شكَّلَ الآلية الأساسية في المنظومة المفاهيمية لسوسيولوجيا النص الروائي لدى 'ب.زيما'، إذ مكنه من دراسة أحداث الرواية ووقائعها الاجتماعية والسياسية، وهذا ما أكده في كتابه ' **Manuel Sociologique** ' :" يقتضي شرح البنية السردية، إذن، **التحليل العاملي L'Analyse actantielle'**، وهذا يرتبط ارتباطا وثيقا بالتحليل الدلالي، وهذا يعني في الممارسة الخطابة أن الاختيارات الدلالية (...) تقوم بها ذات الخطاب ستظهر على المستوى العاملي حيث أنها تحكم المسار السردي." (وديجي. ر، 2017، ص 168).

من هنا يظهر وعي 'زيما' في استعانته بالتحليل العاملي ليستثمره في القراءة السوسيولوجيا من منظور سيميائي، وهو الهدف الذي يطمح إلى تحقيقه المتمثل في تأسيس **'علم علامة اجتماعي'**، وهذا ما أشار إليه أحد الباحثين " لا يكتفي 'زيما' بنموذج 'غريماس Greimas '(**التحليل العاملي**)، لكن يقرأه انطلاقا من مستوى سوسيولوجي يعرض تجريديته، وذلك عبر البحث في مرحلة ثانية عن القيمة الإيديولوجية للعوامل .. من أجل تحقيق نزوعه الذي يهدف... إلى تأسيس 'علم علامة اجتماعي' أو **سيميوطيقا سوسيولوجية.**" **(Dubois.J,1987.P287)**.

ويمكن التأكيد أن ' زيما' قد أرسى منهجه السوسيولوجي النصي مستفيدا من آراء الباحثين والمنظرين السوسيولوجيين والسيميائيين، منتقدا كثيرا من المناهج النقدية خاصة تلك التي كان لها اهتمام بالعناصر الخارجية، ولم تميز بين المعنى الأدبي والمعنى العام. ومثل الأطروحات كما لخصها الباحث 'رشيد وديحى' " تملك ما يبرر أهميتها بالنسبة للنقد الأدبي ما دامت لا تبحث عن القضايا التي تميز النص الروائي، فالمطلوب في هذه الحالة من الناقد، وهو يتعامل مع إنتاج أدبي ألا يبقى بحثه محصورا في الإطار الضيق لعلم الاجتماع فقط، مثلما ينبغي ألا يبقى في حدود التعامل ما الإبداع في سكونيته." **(Zima.P,1985,P123)**.

في هذا السياق يبرز السؤال التالي الذي يطرح نفسه بإلحاح، لماذا استعان 'زيما' بالسيميائية في تحليله السوسيولوجي للرواية.؟ يبدو لأول وهلة أن الصلة بين المجالين السوسيولوجي والسيميائي متباعدة، فليس هناك ما يجمع بينهما. غير أننا حينما نتأمل الأعمال الإبداعية مهما كانت طبيعتها وأجناسها فهي في نهاية المطاف علامات أو أنظمة علامات، وباعتبار الرواية لا تخرج عن هذه الأنظمة فإنها تجد في المجتمع مجالا لحياتها، فهو محتضنها لأنه منتجها. ومن هنا وجدت كل من السيميائية والسوسيولوجيا تجاوبا تلقائيا بينهما، و" لا يمكن (للسوسيولوجيا)، اليوم أن تتجاهل السيميولوجيا إذا ما أرادت أن تتطور وتحافظ على كيانها كعلم... في هذا الإطار يمكن القول بأن تطبيق المنظور السيميائي على الأدب والفنون يعطي دقة منهجية جديدة". **(وديجي. ر، 2017، ص 169)**.

لا شك أن العرض التحليلي السابق مكننا من بلورة فكرة دقيقة عن الخلفية الابستمولوجيا لسوسيولوجيا النص الأدبي كما توصل 'زيما ' إلى صياغتها، وهي وجهة نظر جديدة تركز اهتمامها على التحليل **السوسيولساني والتناصي للنص** « **Socio linguistique et Intertextuel** "(Bradeur.J.P,1971,P24). ولكي نتمثل المقولات التي اقترحها 'زيما'، كان علينا أن نتَمَثَّلَ انتقاداته ل"باختين وجوليا كرستفا ' في مسألتين أساسيتين، فقد انتقد 'باختين' " في جانب أساسي، كونه لا يتساءل عن ما هي بالتحديد العلاقة الموجودة بين **'البنيات الخطابية Structures Discursives** ' التي تمثل الفئات الاجتماعية في النص على المستوى اللساني، وبين فئات اجتماعية خاصة بعينها. **(وديجي. ر، 2017، ص 168)** أما انتقاده ل'جوليا كرستيفا' فكان منصبا على دراستها لرواية " أنطوان دلاسال Antoine De La sale" التي اعتبرتها سطوحا نصية لها وظيفة اجتماعية دون أن تقبل مع ذلك بمفهوم ' الذات الفردية التي تكون وراء كل إنتاج أدبي". **(Zima.P,2000,P354)**.

3. الشريف حبيلة وإشكالية المنهج السوسيونصي

3 .1 إشكالية التنظير

ليس من السهل تقديم المقاربة السوسيونصية في الخطاب النقدي الجزائري المعاصر، بوصفها اتجاها نقديا جديدا حاول مقاربة النصوص الإبداعية من وجهة سوسيولوجيا، مستثمرة الآليات الإجرائية التي وفرتها المناهج النصية. وتكمن الصعوبة في الخوض في هذا الاتجاه النقدي، تداخله مع كثير من الاتجاهات النقدية السوسيولوجيا منها النقد الاجتماعي والبنيوية التكوينية، والسوسيونقد، فضلا عن الارتباك المنهجي والمفاهيمي الذي شان كثيرا من الدراسات النقدية، خصوصا الأبحاث التي ظهرت في المرحلة الأولى في بداية الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي، التي جاءت متفاوتة من حيث الطرح المنهجي والقيمة المعرفية، التي لم يتمكن أصحابها من التفريق بين الاتجاهات النقدية السوسيولوجيا التي تداخلت في كثير من القراءات النقدية، إلى أن بدأت تتضح ملامح الخطاب النقدي السوسيونصي مع بداية الألفية الثالثة، فظهر جيل جديد من الباحثين الجزائريين، حاول إعادة النظر في الممارسات النقدية السوسيونصية ، محاولا تخليصها من الارتباك المنهجي الذي وقعت فيه الممارسات النقدية السوسيولوجيا الأولى، متمثلا الأبعاد المنهجية والمفاهيمية للاتجاهات السوسيولوجيا، "وقد نزع هذا الجيل إلى إعادة المكانة لبنية النص الأدبي، وجعلها المرجعية الأساس في القراءة دون القطيعة مع المرجعيات الخارجية مثل: المجتمع، والواقع، والإيديولوجيا.**(شعلان.ع،2010، ص 170)**.

لا غرو إن وجدنا سوسيولوجيا النص الأدبي تستعير في تحليلات مفاهيمها ومقولاتها من الحقل السيميائي، وبالأخص من نظرية ' غريماس ' في 'علم الدلالة البنيوي'، والاستعانة "بالتحليل العاملي". وما كان لـ'زيما' أن يحقق هذا الإنجاز النقدي لولا قراءته الحصيفة الناقدة في المناهج النصانية وفي النقد السوسيولوجي في مختلف اتجاهاته وخاصة البنيوية التكوينية. وعلى العموم فإن " منهج زيما هو محاولة جادة للتركيب بين نظرية باختين وضمنها كل النظريات التي اهتمت باللغة كأساس لدراسة المجتمع، ونظرية غريماس السيميوطيقية، ومن خلاله أيضا معظم النقاد الذي كانوا يهدفون إلى تأسيس نحو الخطاب." **(الشريف.ح،2010، ص1)** انطلاقا من هذا التحليل صاغ 'زيما' المقولات المنهجية لمقاربة الرواية التي كانت مآلات قراءاته الواسعة للفكر النصاني والسوسيولوجي.

في هذا السياق، أشار الباحث عبد الوهاب شعلان إلى الهاجس النقدي المركزي الذي كان يشغل بال هذا الجيل، ولخصه في السؤال المركزي التالي:" كيف نحرر النص من هيمنة الإيديولوجيا وسلطة المضامين الاجتماعية، وفي الوقت ذاته نبرز طابعه الوظيفي في سياق النسق الاجتماعي العام." .**(شعلان.ع،2010، ص 170)** ويمكن القول إن المحاولات النقدية الجديدة حاولت خلخلة القراءات السوسيولوحيا التقليدية خاصة تلك

المحاولات التي تبنت المنهج البنيوي التكويني، أو تلك المناهج التي مزجت بين البنية النصية وبين القراءة السوسيولوجيا، وهي على أهميتها المعرفية والنقدية لا تقدم صورة دقيقة عن المقاربة السوسيونصية، كما نظَّر لها رواده.

لتقديم صورة عن الاتجاه السوسيونصي في النقد الجزائري المعاصر، ارتأينا أن نقدم القراءة التي أنجزها الباحث 'الشريف حبيلة' الموسومة" **الرواية والعنف، دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة** "، وهذا لعدة اعتبارات، منها أنها دراسة أعلن صاحبها صراحة تبني المنهج السوسيونصي، فضلا عن ذلك، فهي تعد من الدراسات التي أنجزها الجيل الجديد الذي التزم بأدبيات المنهج السوسيونصي كما حدده "بير زيما".

سنركز في هذه الجزئية على مناقشة المنهج السوسيونصي كما تمثله الباحث الشريف حبيلة، وقد وقفنا في البداية عند الأهداف التي أعلن عنها، إذ يفترض أن تميط اللثام عن البعد المنهجي للدراسة الذي حدده في محاولة الكشف " عن هذا الواقع الاجتماعي كمثال داخل واقع لغوي أعاد تشكيله، ذلك لتميز الخطاب الأدبي عن الخطاب السياسي، لأن الأول يفضح ما سكت عنه الثاني".**(الشريف.ح،2010، ص1).**

قبل الكشف عن منهجه النقدي، مهد الباحث لذلك بفكرة مفادها أن تناول تيمة " **العنف**" وتحليلها يقتضي إبراز التفاعل القائم بين الواقع الاجتماعي وبنية الرواية، وهذا ما أشار إليه في قوله:" اقتضت معالجة الموضوع أن تؤسس على إجلاء التفاعل الحاصل بين الواقع الاجتماعي وبنية الخطاب الروائي مستخلصة من ثنايا ذلك الواقع من خلال تجربة مبدع النص، ثم بنية الواقع الاجتماعي، وبنية النص المنتج، والمصور لذلك التفاعل."**(الشريف.ح،2010، ص2).**

انطلاقا من ذلك أبان الباحث 'الشريف حبيلة' عن منهج مقاربته، وهو منهج مكنه من وضع يده على حقيقة التفاعل القائم بين الواقع الاجتماعي وبين بنية الرواية التي تستعرض هذا الواقع بطريقة تحليلية نقدية، و" انطلاقا من ذات الرؤية سأعتمد المنهج السوسيونصي في معالجة القضايا التي يطرحها البحث، مع الارتكاز على روافد منهجية اجتماعية كانت أو نفسية، أو جمالية، أو فلسفية عند الحاجة من أجل استجلاء عناصر النص وتفاعلها، معتمدا ما أوعز به الخطاب السياسي، وما أوحى به المد الاجتماعي، وزمنيتها إلى الذات الجزائرية من إيحاءات ودلالات ذات تنوع واختلاف، قد ساعدني على رسم خريطة منفصلة للخطاب الروائي الجزائري خلال الأزمنة، التي تعج بالأحداث المأساوية، والمواقف الدرامية."**(الشريف.ح،2010، ص 3-4).**

من هنا يمكن القول إن الباحث قد وعى البعد المنهجي الذي يمكنه من إدراك التفاعل بين الواقع وبين بنية الخطاب الروائي المعبر عن تيمة " **العنف**"، وهو هدفه الأساس في البحث، وبالتالي أضحى المنهج السوسيونصي

يفرض نفسه على مجريات البحث، وليس مُفرَضا فرضا تعسفيا، وبالتالي جاء المنهج المختار منسجما مع الأهداف التي أعلن الباحث في بيانه المنهجي، إذ " يقوم البحث على مبدأ أساس هو واقعية النص الأدبي، مهما تموه النص، وبهتت فيه أثار الواقع الذي أنتجه، والنظر إليه كمتعال خالص، والواقعية بهذا هي الآليات المتحكمة في العمل الأدبي، هي الذاكرة التي تمارس في كنفها نشاطه، وتؤسس من خلا ذاكرته الخاصة". **(الشريف.ح،2010، ص3)** .

يتأكد مما سبق أن الباحث الشريف حبيلة اختار المنهج **'السوسيونص'** عن قناعة، إذ أدرك الأبعاد المنهجية المتوخاة من هذه الممارسة المنهجية، ـ **نظريا** ــ التي تكرس مفهوم الأدب معادل فني للواقع الاجتماعي، وفي هذا الصدد يقول الباحث:" لا نعتقد ثمة خلافا كبيرا حول هذا المبدأ الأساس، فالأدب معادل فني للواقع يعيد إنتاجه، أو يقاربه وفق طقوس، ووسائط لغوية وتحليلية خاصة وحساسة، هي التي تميزه عن واقعه، تمنحه هويته كظاهرة إبداعية، والإشكال يطرح عند التساؤل عن كيف يعيد النص إنتاج واقعه؟." **(الشريف.ح،2010، ص3)**

اتضح للباحث من هذه القناعة المنهجية، أنه لابد من إماطة اللثام عن منهجية تناول بنية الخطاب الروائي بما في ذلك بنية الشكل التي تخفي وراءها دلالات تؤدي إلى إدلاء التفاعل بين الواقع الاجتماعي وبنية الخطاب الروائي، وهذا ما حاول الباحث تفسيره في قوله" حاولت دراسة الخطاب، ثم بنية الشكل، واعتبار الشكل منتجا للدلالات وجب الكشف عنها، قادتنا هذه الدلالات إلى الحديث عن الأدبية التي تتجاوز حدود البنية إلى فاعليتها، إذ تمارس عناصرها وظائف تنتج دلالات هيكلها، ومن ثم تصبح الوظائف البنائية ذات وظائف دلالية في نسيج النص." **(الشريف.ح،2010، ص4).**

وإذا كان الباحث' الشريف حبيلة' قد أبان في الفكرة السابقة عن منهجية مقاربة بنية الشكل المنتج للدلالات من خلال الوظائف التي تؤديها عناصر البنية الشكلية، فإنه من جهة أخرى لا يتوانى في الكشف عن الكيفية التي تتولد بها الدلالات التي حددها على أساس علاقة الرواية بالواقع الذي تعيد صياغته من جديد لتنتج منه الدلالات، وهذا ما يشير إليه في قوله التالي:" إن ما شغلني في البحث هو الدلالة المولدة على أساس العلاقة بالواقع الحي المرتبط بالزمن المعيش... وعند النظر في الخطاب الروائي الجزائري، وجدناه في حداثته خطابا يروي قصة خاصة، وهو بذلك يحقق خصوصيته بآليات بنائه الجمالي، هذه الآليات تشكل من الخطاب واللغات والشخصيات، وخصوصيات أمكنة حركاتها وطرق عيشها وأسباب معاناتها."**(الشريف.ح،2010، ص4).**

من المبادئ الأساسية التي أكد عليها الباحث الشريف حبيلة في مقاربته السوسيونصية **'الرواية والعنف'**، أن النص الروائي لا يخرج عن كونه كائنا لغويا صاغه واقع بجميع مستوياته، ومن هنا جاءت قراءته لتعطي بعدا

أساسيا للنص دون عزله عن واقعه، وبمعنى أدق فإن الباحث يختزل مقاربته السوسيونصة في بعدين أساسين، **بعد الداخل** الذي يتمثل في القراءة المحايثة للنص، **وبعد الخارج** الذي يربطه بسياقه الخارجي العام،" وبما أن النص كائن لغوي أداته اللغة، أنتجه واقع نفسي اجتماعي ثقافي، يساهم المتلقي في نضجه بتكرار الكتابة، والمتلقي، يؤطر ذلك عصر له نظرياته ومناهجه، التي تتداخل، وتتطور، وتستعار. وبما أن هذا كله حاصل فإن تعاملي مع النص يستهدف الواقع بجميع مستوياته، وينتهج قراءة لا تعزل النص عن وسطه الإنساني الذي يحيا فيه ويتطور.»**(الشريف.ح،2010، ص3–4).**

على الرغم من أن الباحث قد أشار في بيانه المنهجي استعانته بالمقاربة " **السوسيونصية**" لمقاربة تيمة العنف في الرواية الجزائرية المعاصرة، إلا أن ملامح هذه المقاربة لم تتمظهر في شكلها الإجرائي، فلم يشير الباحث إلى المفاهيم الأساسية التي من المفترض أن يستعين بها في مقاربته، واكتفى بالتأويل كمنهج مقاربة، وهو مفهوم عام لم يحدد طبيعته وآلياته الإجرائية.

ويبدو أن الباحث لم يلتزم بالصرامة المنهجية في تحديد الإطار المنهجي لمقاربته، واتضح ذلك من الأسئلة التي راودته،" هل سنقف عند حدود تحليل هيكل البنية.؟ وهل سأكتفي بتأويل، لا يلامس المعنى.؟ أم أكتفي بتحليل شكلي يحمل المعنى.؟ وهل اقتصر على تطبيق مجموعة من المفاهيم والأدوات، وعلى رصد الوظائف.؟ إنني لم أنكر هذه الخطوات المنهجية في مقاربة النصوص، ولكن البحث الذي يعتمد التأويل كان عليه النظر في العمل الروائي باعتبار خصوصيته كعمل مميز، أنتجه واقع خاص (الرواية الجزائرية، والعنف).(**الشريف.ح،2010، ص7).**

ونحن، نتساءل لماذا اعتمد الباحث " **التأويل**" كمنهج لمقاربة المتن الروائي، وقد أعلن صراحة عن تبنيه المنهج السوسيونصي.؟ وإذا قبلنا بالتأويل كمنهج، فإن كل المناهج تقوم بتأويل النصوص من رؤية نقدية "ما" . وبالتالي فلم يتوصل الباحثّ إلى تحديد مفهومه الإجرائي للتأويل الذي ادعاه، لذا اعتمد "التأويل كمنهج ملائم لمقاربة المعاني في أدبيتها، وتجنبت قبول المرجعي كما هو في الواقع، بل عينت دلالاته، ثم نقدته." **(الشريف. ح،2010، ص 7)**

وإذا كان الشريف حبيلة قد تبنى التأويل كمنهج كما أشار إلى ذلك في الفقرة السابقة، إلا أننا نجده في موقف آخر يطرح أسئلة إشكالية تعزز توجهه السوسيونصي الذي أعلن عنه، فكيف نفسر هذا الغموض في رؤيته النقدية، حينما نتأمل مثل هذه الأسئلة:" كيف يحضر العنف كمرجع جمالي في النص الروائي.؟ وكيف ينبني النص وهو يتفاعل مع واقع العنف." **(الشريف. ح،2010، ص، ح)** وفي هذا الموقف نتساءل عن الرابط المنهجي الذي يربط المقاربة التأويلية بالمقاربة السوسيونصية التي تتبنى على النص وهو يتفاعل مع الواقع...؟

يبدو أن مسألة المنهج السوسيونصي لم تضح بشكل جلي في ذهن الباحث، فمن جهة يصرح تبنيه المنهج السوسيونصي لمقاربة تيمة العنف، ومن جهة أخرى يكشف عن منهج التأويل الذي اعتمده لمقاربة الخطاب الروائي التي يتناول تيمة العنف، ومن جهة ثالثة يميط اللثام عن مقاربة "**التفكيك**" ، وهذه إشكالية أخرى، دون أن يوضح **مفهومه للتفكيك** ، حسب ما يوضحه في الفقرة التالية: ف" أهم فاعلية في المقاربة هي التفكيك، تفكيك النصوص وتشريحها وتقصي عناصرها، بتفكيك البنيات الذهنية ذاتها المنطوية في طيات البنيات السردية المنتجة لها، وأقرأ واقعية النصوص من خلال روائيتها، ونصيتها، أقرأ العنف ورواية الواقع الجزائري المتأزم" **(الشريف.ح،2010، ص7)**

إن الإشكالية التي تبرز في هذه الدراسة يمكن اختزالها في الارتباك المفاهيمي والمصطحاتي، إذ لم تحظ الدراسة برعاية تامة لهذا الجانب على المستوى التنظير. ومما هو مؤكد أن الباحث استعان بمناهج أخرى لمقاربة ظاهرة العنف في الرواية الجزائرية المعاصرة، ولم يفصح إلا عن واحد منها الذي أطلق عليه مصطلح " **التحليل البنيوي للسرد القصصي**"، وحتى هذا المنهج بقي في دائرة المقاربات المبهمة التي لم تظفر بالدراسة والتفسير. ويبقى المنهج " السوسيونصي" هو الحاضر الغائب بوصفه المنهج المحوري الذي تدور حوله بقية المناهج التي لم تتضح صورتها بشكل إجرائي، وإن كانت الاستعانة بها ضرورية وأساسية في مثل هذه المقاربات.

وعلى العموم، فإن المنهج السوسيونصي لم يحظ بالاهتمام والدرس، في هذه الدراسة وخاصة من جوانبها النظرية والإجرائية، لم نر حضورا لمفاهيم ' بيير زيما' وآليات قراءته الإجرائية، خاصة ما جاء في كتابه الأساسي " سوسيولوجيا النص الأدبي"، وكتابه " رغبة الأسطورة ،قراءة سوسيولوجيا لمرسال بروست، نيزت"، الذين لم يرجع إليهما الباحث، فضلا عن كتابات '" كلود دوشي' في" السوسيونقد " التي كانت مغيبة تماما في هذه الدراسة، في حين كان حضور بارز، لأهم دراسات ' لوسيان غولدمان' بشكل ملف للانتباه ، و'أمبرتو إيكو' و 'بول ريكور'.

3. 2 إشكالية ممارسة المنهج السوسيونصي

نستهل هذه الجزئية بسؤال نراه أساسيا، لأنه يحيلنا مباشرة على تفكيك المنجز النقدي للباحث الشريف حبيلة.

كيف قارب الشريف حبيلة الرواية والعنف من منظور المنهج السوسيونصي.؟

اقتضت الخطة الإجرائية التي حددها الباحث لمقاربة تيمة العنف في الرواية الجزائرية، تقسيم دراسته إلى ثلاثة فصول، خصص الأول لدارسة عنصر **(المكان والعنف)**، وقد حاول أن يؤسس للعلاقة التي تربط بنية المكان بالعنف، الذي لا يمكن فصله عن الفضاء الروائي، فالمكان من هذا المنظور له مفهوم واسع، إذ ينطلق من البيت إلى الشارع ، القرية، المدينة ثم الوطن، ومن هذه العناصر تم رصد" العلاقة التي أنتجها العنف بين المكان

والمجتمع الممثل في أفراده، بجميع مستوياتهم الاجتماعية والسياسية والثقافية، وما نتج عن ذلك من ظاهر احتواها المكان، وافتعلها بالاشتراك مع العناصر الأخرى كالشخصيات، والزمان والجماعات البشرية المشاركة في إنتاج العنف، أو كانت ضحية له، وفي ذلك كَشْف لخصوصية المكان في ظرف طارئ أطره العنف."(**الشريف.ح،2010، ص ج).**

في تحليله لعنصر " **البيت**" كشف الباحث عن التحول الدلالي الذي عرفه البيت هو فضاء هام "في حياة الإنسان، ومن ثم في النص الروائي، تعيد إنتاجه الكتابة وفق رؤية فكرية وجمالية، يتبناها الكاتب ويحملها راويه، إذا كان البيت في الواقع ملجأ للراحة والأمن والاطمئنان.. لكن مع اضطراب الواقع، واندلاع الفجائع التي ألمت بالمكان والإنسان الجزائري، تغيرت الرؤية لهذا الحيز الهندسي رمز الأمان، فلم يعد الحصن الحامي لأهله.." **(الشريف.ح،2010، ص 27).**

إن المستقرئ للقراءة التي أنجزها 'الشريف حبيلة ' في تفسيره لعلاقة **'البيت'** بالعف في الرواية الجزائرية، يلاقي صعوبات في تحديد هوية المنهج الذي اعتمده الباحث في هذه القراءة، التي لا تكشف عن الآليات النقدية السوسيونصية، التي من المفروض أن يشير إليها الباحث، أو يوظفها في التحليل بوصفها آليات إجرائية منتجة للدلالة. فكيف يمكن للقارئ أن يتعرف على طبيعة المقاربة ما لم تتضح فيها الآليات المنهجية؟ وإذا افترضنا جدلا أن الباحث قد يكون قد استعان بآليات معينة، فما هي.؟ ولماذا لم يفصح عنها.؟ وفي تقديرنا فإن هذه القراءة لا تعدو أن تكون مجرد تأويل لتمظهر تيمة **العنف، على** الرغم من أهميتها، وهذا ما يبرزه الباحث في الفقرة التالية " يقدم الملفوظ الروائي حادث اقتحام البيوت على لسان الأطفال، مستخدما تقنية سردية هي المشهد. هؤلاء الأطفال يبدو أنهم مجتمعون حول امرأة أكبر منهم، يشير إليها الملفوظ (تاتا)، ويحكون لها ما حل ببيوتهم وأهلهم، لذا يمكن القول إن ما يفعلونه هو نوع من التفريغ، ويؤدي فعل الاقتحام المتكرر ضمنيا في الملفوظات الحاملة لفعل الدخول العنيف من جهات ليست للخول (النوافذ، المدخنة، أو بالكسر.)" **(الشريف. ح،2010، ص29).**

في موقف آخر من هذه الدراسة نجد الباحث 'الشريف حبيلة ' ينتهج المنهج نفسه الذي سار عليه، وهو **المنهج التحليلي،** فلا نجد أثرا للمنهج الذي أعلن عنه وهو سوسيوجيا النص. ويفترض أن يركز على تناول النص الروائي اعتباره رد فعل تناصي على اللغة أو اللهجات الاجتماعية وعلى خطاب وضعية لغوية، وعلى التفاعل معها، ففي الفقرة التالية يقدم الشريف حبيلة وصفا لظاهرة العنف كما عرضها السرد الروائي". ."(**الشريف.ح،2010، ص 30).**

وغير بعيد ما حدث لشاعر (الطاهر وطار) بطل رواية "الشمعة والدهاليز"، **حيث يفاجأ بكسر نوافذ وباب بيته، ليجد نفسه أمام سبعة أشخاص ملثمين، يعلنون محاكمته، تنتهي بقتله " لم يكن قد انتهى من ارتداد جبته بعد خروجه من الحمام، وينتهي من التساؤل حتى دخلوا.**

كسروا الباب، حطموه، ودخلوا.

كانوا سبعة ملثمين، فلا يبدو من وجوههم إلا أعينهم في أياديهم رشاشات، وفي أحزمتهم سيوف.

دفعوه إلى غرفة النوم، وأمروه بالوقوف، وجلسوا هم، وأعلنوا بصوت واحد محكمة."(الشريف.ح،2010، ص 30-31)

يتضح من هذه المقاربة أن الباحث' الشريف حبيلة 'بقي في إطار قراءته التأويلية التي أكد عليها في بيانه المنهجي،" لذا أعتمد التأويل كمنهج ملائم لمقاربة المعاني في أدبيتها، وتجنبت المرجعي كما هو في الواقع، بل عاينت دلالاته، ثم نقدنه" ."(**الشريف.ح،2010، ص 7)**

نستنتج من ذلك أن الباحث تغاضى عن روح المنهج السوسيونصي بإعلانه صراحة اعتماده التأويل لمقاربة المعاني، وتجنب المرجعي، وفي ذلك تأكيد على عدم التزام الباحث بالرؤية المنهجية المصرح بها. وفي تحليله لبنية الشخصيات في علاقتها بزمن العنف لم يكشف الباحث عن أدواته الإجرائية لتفسير هذه البنية، واكتفى بعرض مفهومي زمن القصة وزمن الخطاب من خلال" الكشف ... عن زمن النص لنصل إلى المستوى الدلالي للزمن، ولا يتم ذلك إلا بالمرور على زمن القصة وزمن الخطاب، ثم كيفية انبناء الزمنين في النص." .»**(الشريف.ح،2010، ص 92)**

وفي موقف آخر يؤكد على المنحى المنهجي الذي سار عليه البحث ، وهو منحى لا تتمظهر فيه المقاربة السوسيونصية بشكلها الإجرائي، الذي يتجاوز النص الأدبي إلى نصوص أخرى علمية ، تاريخية ، دينية، وربطها **بوضع سوسيولغوي** واضح المعالم، مع إبراز تأثر الروايات المستهدفة في الدراسة بالخطابات واللهجات السائدة.، لنأخذ على سبيل المثل كيف تناول الباحث الشريف حبيلة " **وعي الشخصية بزمن العنف**" ، في هذا الصدد يقول:" يتجلى وعي الشخصيات بزمن العنف من خلال الزمن النفسي، المرتبط أساسا بالشخصية، حيث يمتد في الذكريات والطموح، تعبر عنه الحالة النفسية المتغيرة، إنه الماضي العائد بواسطة الذاكرة مستخدما الومضة الموراثية، وفي الوقت نفسه هو زمن المستقبل الحلم .." .»**(الشريف.ح،2010، ص 120)**، مثل هذه القراءة على أهميتها في دراسة وعي الشخصيات في المدونة الروائية التي اختارها الباحث، إلا أنها تبدو قراءة هي أقرب من التحليل النفسي للشخصيات منها إلى التحليل السوسيونصي.

ولعل الفقرة المقتبسة والتي سنأتي على ذكرها تشير أن التحليل الذي تبناه الباحث لم يهتم بتحليل البني الدلالية السردية في وضع معطيات السوسيو لغوي واللهجة الجماعية التي تجسد الواقع الاجتماعي بمختلف صراعاته وتناقضاته ومصالحه التي تجسدها الوحدات الدلالية والتركيبية المجسدة لمصالح الجماعة من خلال الربط بين بنى الدلالة والسرد. يقول الباحث الشريف حبيلة:" وقد كشفت قراءة الروايات في ضوء هذا الطرح أن التداعي كان نهج المدونة، حيث تتداعى المشاعر والأفكار والذكريات والتخيل، وتتخذ المواقف، والملاحظ أيضا أن شخصيات الروايات تشترك في تداعياتها، كونها تحكي عن زمن واحد وموضوع واحد، الأمر الذي يجعل ملاحظة التفاوت محصورا تقريبا في قدرة كل كاتب في التعامل مع تقنيات الكتابة وفنياتها." ."(**الشريف.ح،2010، ص 120-121).**

4. الخاتمة

وصفوة القول اتضح من هذه الدراسة أن المستقرئ للمقاربات النقدية التي تبنت المنهج السوسيونصي في الخطاب النقدي الجزائري المعاصر، يلاقي صعوبات لتحديد هوية المنهج الذي اعتمده القراءات النقدية بسبب إهمالها لتوظيف الآليات النقدية السوسيونصية التي تكشف عن هوية المنهج، التي من المفروض أن يشير إليها الباحث، ويوظفها في التحليل بوصفها آليات إجرائية منتجة للدلالة. فكيف يمكن للقارئ أن يتعرف على طبيعة المقاربة ما لم تتضح فيها الآليات المنهجية؟ ومن هنا **تستخلص النتائج التالية:**

1- إن سوسيولوجيا النص الأدبي، جاءت تعيد الاعتبار لطرق أداء الكلام بما اصطلحت عليه بالوضعية السوسيولوجيا اللسانية، وبمفهوم التناص الذي جرد من محتواه الحقيقي، فلا يمكن إدراك حقيقة التناص إلا بوجود الذات التي تعبر عن موقف الفرد، فالعمل الأدبي في حوار دائم ومتواصل مع النصوص والواقع بمختلف مستوياته.

2- أن إشكالية ممارسة المنهج السوسيونصي في الدراسات النقدية الجزائرية المعاصرة، هي إشكالية متعددة الأوجه، التي يمكن اختزالها في اتجاهين نقدين:

3- الأول يمكن أن نصطلح علية **بالاتجاه التلفيقي،** وهو الاتجاه الذي لم يتمثل حقيقة المنهج السوسيونصي، وبقي يتأرجح بين السوسيولوجيا الجدلية والبنيوية التكوينية.

4- والثاني نصطلح عليه **بالاتجاه التجاوزي،** وهو الاتجاه الذي عمل على الاستفادة من المنهج السوسيونصي حسب ما تفتضيه الضرورة المنهجية مع فسح المجال للمناهج والنظريات النقدية دون تبرير. ومن هذا النموذج الذي وقع عليه الاختيار (الرواية والعنف، دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة) ل'الشريف حبيلة، وهي

الدراسة لمست المنهج المصرح به، دون أن توظف آلياته المنتجة للمعرفة، التي تعمل على إقامة التفاعل بين الرواية الجزائرية والعنف.

5- إن جوهر الإشكالية يكمن في عدم تمثل المفاهيم والمقولات الجوهرية، والمرجعيات الأساسية لأصول المنهج، مما نتج عنه ارتباك في كثير من القراءات، تجلى على مستوى التنظير والإنجاز.

5 ــ المصادر والمراجع

1بالعربية

1 ـ بيير زيما، (1991)، ترجمة عايدة لطفي، النقد الاجتماعي، ط1، القاهرة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع

2 ــ جاك دوبوا، (1986)، تر. قمري بشير، نحو نقد أدبي سوسيولوجي ، تر. قمري بشير، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية.

3 ـ جورج لوكاتش، (1985)، تر جمة نايف بلوز، دراسات في الواقعية، ط1، بيروت، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع

4 ـ رشيد وديجي، (2017) سوسيولوجيا النص الأدبي عند بيير زينا، مفاهيم وآليات تحليل الرواية ، مجلة العلامة،

5 ـ الشريف حبيلة، (2010) الرواية والعنف، دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة، إربد الأردن، عالم الكتب.

6 ــ عبد النبي قيدي ، تشخيص اللغة والواقع في الرواية العربية

7 ـ عبد الوهب شعلان ،(2008)، من سوسيولوجيا الأدب إلى سوسيولوجيا النص، قراءة في تجربة حميد لحمداني، مجلة أبوليس، سوق أهراس، جامعة محمد الشريف ، مجلة أبوليوس » جامعة سوق أهراس–univ soukahras.dz)

8 ـ عويضة، كامل محمد (1993)، هيجل، ط دار الكتب العلمية

9 ــ مصطفى غالب مصطفى، (1980)، هيجل، منشورات دار الهلال

2 ـ بالفرنسية

1- Jean Paul Brodeur ,(1979) Les discours sémiotiques aux Canada ,le champ

2 –Jean Paul Dubois, (1987), Méthodes du texte ; Introduction aux études littéraires, Ouvrage

3 - Michel Zeraffa, (1971) Roman et Société, Paris, Presses Universitaires de France

4 –Pierre V. Zima, (1980) L'ambivalence romanesque, Proust, Kalka ; Musil, Paris,

5 - Pierre V. Zima, (1985) Manuel de sociocritique, éd 1, Paris, l'Harmaltan

6 - Pierre V. Zima . (2000), Pour une sociologie du texte littéraire, Paris Ed, L'Harmattan